

شيئا فشيئا في لوح من الخشب وبقلم من القصب وحبر يصنع من مادة الصمغ، وكلما حفظ لوحه محاه بالماء في حوض خاص معد لذلك بالكتاب، ثم يطله بمادة الصلصال، ويكتب عليه من جديد، وهكذا دواليك، ويجلس الأطفال على حصر مفروشة على الواح خشبية القرفصاء، تحت سمع وبصر المؤدب الذي يجلس على مصطبة يراقب الأطفال ويستمع اليهم وهم يقرأون بعدما يفرغ من مهمة تلقينهم ما يكتبون على ألواحهم، وفي يده قضيب طويل يضرب به الطفل الذي يظهر تهاونا أولا يحفظ لوحه حفظا جيدا، وتقتصر مهمة المؤدب على تحفيظ القرآن والرسم وضبط الصبيان، ولا يتعلم الأطفال في الكتاب أي شيء يؤدي الى فهمه من نحو أو شرح ولو بطريقة بسيطة، وهذه هي الطريقة التي ذكر ابن خلدون أن المغاربة درجوا عليها «أما أهل المغرب فمذهبهم في الوالدان الاقتصاد على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر، ولا من كلام العرب الى أن يحذف فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة» (48).

وجرت العادة أنه عندما يتمكن الصبي من حفظ القرآن بقراءة ورش أو بها وبعض القراءات كقراءة قالون مثلا (49)، وكان العمل بهذا جاريا في تطوان، ويكون مقبلا على التعليم المتوسط، يوجهه فقيه المكتب لحفظ المتون العامة التي تدرس في هذه المرحلة كمرشد ابن عاشر والمختصر والاجرومية والالفية وغيرها (50).

ويأخذ المؤدب الاجرة على التعليم من أولياء الأطفال، وتكون بالمدينة مبلغا نقديا بسيطا يدفع اليه كل أسبوع أو كل شهر، ويتعاقد أهل القرى مع فقيه الكتاب حسبما جرت عليه عادتهم، فتكون أجرته قناطر من الشعير، من ثلاثة إلى ثمانية حسب أهمية القرية، ويرسل اليه كل أهل دار بالتناوب طعاما كل يوم، ويعطونه بالاضافة إلى ذلك أرضا، يخصص كل رجل من القرية يوما للعمل الزراعي بها (51).

(48) المقدمة : 495.

(49) عمدة الراوين 8 : 86

(50) نفس المصدر 8 : 88

(51) la accion cultural : 150